حوار

اليوم وصلتني رسالتها، صديقتي الأعز، والوحيدة تقريبا، فقد كنا جيرانا، وزميلات مدرسة حتى قرر أبويها الإنتقال، إلى إحدى المدن الجديدة التي تحاصر العاصمة عبر دائرة كبيرة متسعة من الكباري. وتنشغل كل منا بدراستها الجامعية، فهي ستصبح طبيبة وأنا أدرس لغة أجنبية. لن أنسى حوارها الغاضب معي يوم عرسي، فقد كنت بالفرقة الأولى لم أزل.. فرحة بالخروج الشرعي من سطوة الأب وقلق الأم وزحمة البيت، لم أستمتع بخصوصيتي يوما ولم أملك مكانا لكتبي وأشيائي الحميمة.

كان هروبا بالأحرى، لكنها كانت تراه انتحارا مبكرا، وغلق لكل منافذ الحياة الحقيقية.

كانت تريدني أن أنتظر حتى التخرج، وأصبح أكثر نضجا.عاتبتني كثيرا، لكني وقتها لم أحس بوقع كلماتها، لم أكن مجهزة لتكملة حياتي بنفس تلك الوتيرة، التي تختلط فيها ملابسي وأشيائي بملابس وأشياء

أخوتي.. الصخب الدائم لكثرة عددنا، حبي للعزلة، والاستمتاع ببعض الموسيقى الكلاسيك التي أعشقها وأحفظ بعضها. وحضوري من الجامعة قبل الثامنة مساء حسب أوامر أبي المتوعدة دوما غير عابئ ببعد المسافة وصعوبة المواصلات من الجامعة وحتى المنزل..لم تكن تدري صديقتي أنني بزواجي أكون قد قررت الهرب من بيت طارد. لم يحتويني.

المهم بعد طول انقطاع لأخبارها ولإنشغالها بالعيادة الجديدة والعمل بالمشفى.. أرسلت لي رسالة..لا أدري لم أتكاسل في قراءتها، علني أخمن ما بها قبل أن أفتح الإيميل.. أخمن أنها دخلت علاقة حب جديدة، بعد فشلها في غرامياتها الكثيرة السابقة. وحتى لا تسيئوا الظن بها هي عاطفية وحساسة جدا، وترى أن الرجل الشاعر أو الأديب الذي قطعا يدخل علاقات كثيرة كي يكتب بتنوع، هي لا تقل عنهم.. هي إنسانة، تكتب الشعر إذا أحست بالحب تجاه شخص، فلم لا تكمل علاقتها معه.. هكذا دون كثير تفكير.. أه يا سهى..لأقرأ رسالتك قبلا

"صديقة عمري، أجمل فيلسوفة

أفتقدك كثيرا خصوصا هذه الأيام، بالنسبة للعمل كل شيئ محبب ومعقول، لكني وأنا غارقة في علاقة غريبة عجيبة فيسبوكية تذكرتك، وستحسدينني عليها.. لا أدري من أين أبدأ لكن أرجو منك أن تؤجلي أية أحكاما مسبقة، وأتركيني أحكي لك من البداية.. تعرفين بحالات التحرش المتعددة التي تلاحق الفتيات والنساء في بلدنا مهما كان عمرالفتاة أو نوع الملابس التي ترتديها، الشباب لا يفرقون في كيفية ماترتديه المرأة، بل يفكرون في جزء واحد وحيد يتيم فيها وكأننا نُعاقب لكونه جزء طبيعيا منا، وكنا سويا قد تناقشنا من قبل إزاء إحدى حالات الهوس الجنسي الجماعي تلك في أحد الأعياد، وكنت أختلف معك بان الصغار من المراهقين غالبا هم المتهمين ولكنك تفوقتي علي كعادتك دائما وقلت لي أن التحرش غير قاصر على الصغار وأن الغالبية هم كبارا ولديهم الزوجة التي تلبي لهم حاجاتهم الجنسية وقتما شاءوا. وهنا مربط الفرس، وحتى لا اطيل عليكى فقد تعرضت ولمدة طويلة للتحرش عبر الفيسبوك، رجل مكتوب على صفحته أنه

طبيب ومتزوجا، دهشت وحزنت أيضا، لكنى قررت أن "ألعب" معه على طريقته، أرجو أن تطيلي بالك علي حبيبتي."متزوج ويعول"هاهاها.

في البداية ظل الرجل وبمبالغة مكشوفة وكاذبة، يشكر في رقة وواقعية بوستاتي أول الأمر ، ثم أبيات شعري، ثم انسحب إلى ملامح وجهي "وجمالي" الذي يحلم به منذ كان مراهقا، وإنه لا يتمنى شيء في الحياة أكثر من أن يضمني وأن أضمه.. فقط..هاهاهاها وأنه يستحلف بينه وبين نفسه، أنه لابد محقق رغبته في المجيء، لرؤيتي أينما كنت وإنه لم ولن يتركني حتى يحصل على رائحتي.. هاهاها والله حبيبتي هكذا قال وهكذا استهان جدا بذكائي، وجعلني أمام نفسي أبدو كطفلة مغيبة أو عاهرة.. غضبت وثارت كرامة الأنثى في.. واستعنت بالصبر، وركزت معه جدا على غير عادتي..

المهم ذكرته أن له زوجة وأبناء ووظيفة يحبها، فلماذا الخيانة؟ أم هي "طفاسة" رجال؟!.. علق على السؤال الأول بأن بيته وزوجه والجميع لا ينقصهم شيئا، وأنه هو فقط المسكين من ينقصه أشياء

كثيرة. قلت له مثل ماذا؟.. تتعجبي صديقتي حين أخبرته أن زوجته رهن إشارته كما يقول، فيحصل على احتياجاته البيولوجية أي وقت فسألني بغضب: التجديد سُنة الحياة يا أجمل دكتورة.. هل تستطيعي قضاء سنوات طويلة من عمرك بنفس الفستان أو البدلة؟هاهاها.. والله هكذا قال وطبعا إمعانا في إغاظته قلت له: طب نفرض أن زوجتك أيضا تريد تغيير"الفستان"بعد كل هذه السنين، أليس لها الحق هي الأخرى في بدلة أو زوج من الأحذية الجديدة أيضا؟ أم أن سُنة الحياة لا تسري على النساء؟.. قال: لو هي فكرت مجرد تفكير في هذا لأطلقها، وألقي بها فورا خارج البيت بعيدا عن حياتي وحياة أبنائي..

أعرف صديقتى الجميلة أنه الفصام الذي يعيش، ويعشش في رؤوس أغلب الرجال في مجتمعاتنا الذكورية، مهما اختلفت أيدلوجيتهم، فاليساريين والليبراليين يقتنعون بذلك تحت راية حرية الجسد وحرية المرأة، والمتدينون لهم أربعة وما ملكت أيمانهم، وحتى بعض الأساقفة والرهبان يتجرأون على استباحة الأجساد لأنفسهم، وأنت تعرفين ذلك الكهل"الحقير" والذي لا تحبين مجرد سيرته، ذلك

الذي كان على رأس حزب سياسي يساري في السبعينيات،كيف كان أغلب ما يشغله هو الإيقاع بالبنات اللاتي أحببن هذا الوطن، وحلمن بوطن جميل، وقرَّرن بجرأة الإنضمام للعمل الحزبي أو مجرد تأييد مواقف حزبه، تعلمين أن له العديد من الأبناء مختلفي الجنسية، حتى أنه له إبنة من الخادمة الفلبينية التي أحضرها لمساعدة زوجته أثناء حملها.

المهم قلت له الكثير ؛ منها أنه او إن كان مثقفا أو يدعي الثقافة، أحببت أن أخبره "إن القراءات الجوفاء التي قرأتموها في حياتكم قد باعدت بينكم وبين الواقع، وإن إحترامكم لأنفسكم هو احترام شكلي ومكذوب.."

وقتها قال لى غاضبا متفاجأ: هذا كثير يادكتوره.

فسألته: طوال الايام الماضية ماذا كنت تطلب منى أو تريد؟

قال: أنا لا أفهمك.

قلت له: أنت تفهم وتكذب، طوال الأيام الماضية كنت تتحرش بي بمنتهى البساطة، مستهينا بعقلي وبشكل دائم، ارجع لتلك الألفاظ

التي بطَّنتها بإطراءك لكل ما أكتب .. هذا في البداية، ثم قصة شعري وملامحي، حتى طلبت مني أن أفتح كاميرا الجهاز لتراني.. أنت لم تتفهم مع من تجرى حوارك ياطبيب الأطفال.

قال بعد وقفة صمت ظننته مات: " هاهاها.. أهو عيب أم حرام.. أن يتحدث اثنان راشدان ويعبرا عن مشاعرهما وعما يرغبا به.؟"

وحتى لا أطيل عليك حبيبتي بعد أن عبرت له عن اشمئزازي وضيقي من تصرفاته المفضوحة، والتي لا تعمل أي حساب لذكائي وعمري وخبرتي بالحياة قلت له:

طلبك ليس عندي يا أفندم.. لديك زوجة وأطفال ويجب أن يكون لديك قبل أسرتك ومهنتك القليل من الأخلاق. وإنه بوصفه متعلم وطبيب يفعل تلك التفاهات المريضة، فماذا يفعل المراهق..؟ وهل نلومه على جهله وتسرعه في التمتع برجولته سلفا، قبل أن ينبت شاربه أو تنضج رغباته؟..

هددته بأني سأبلغ عنه النقابة وسأفضحه، فخاف وبعدها عملت له بلوك.أتركك الآن فلدي حالة ولادة.. وغالبا في بنوتة.باااااي. سأزورك قريبا في عطلة نهاية الأسبوع.

لم أضحك بصوت مرتفع لهذه الدرجة من قبل"تلميذتي النجيبة أنت يا سهى"